مُناقشات

استلهام النكبة

بقلم عبد اللطيف شراره

أخي رئيس التحرير

لم تكن هذه المساجلة حول « مأساة فلسطين وأثرهـا في الأدب العربي الحديث » بيدك وبين الاستاذ عيسى الناعوري، في العدد الماضي من «الآداب» لم تكن تلك المساجلة مما يغري بالسكوت ، وان كان الكلام فيهـا من باب الاستباق للحوادث ... الأدبية على الأقل !

وإنما يغريني بالكلام ان لي رأياً في تصور المستقبل نفسه ، هـذا المستقبل الذي تعلقت عليـه سببا الى تأييد رأيك ، وخذلان الاستاذ الناعوري فيما توجه به اليك من اعتراض !

الواقع ان مأساة فلسطين استنفدت مـا يمكن ان تلهم من شعر وادب ونقد ودرس ، وخرجت بخروج العرب من ديارهم ، الى حيز النضال العملي الصرف ، الى الصمت العسكري ، الى التخطيطات الاجتماعية والسياسيـة والاخلاقية ، الى التنظيم الاقتصادي العربي ، ومن ثمة الى استرجاع الحق السليب ، وهو وحده يلهم ادباء العرب – في المستقبل – ما لا نستطيـع ان نرسم له الآن حداً ولا شكلا ...

نحن لا نستطيع ذلك، لأن ادب المستقبل منوط بالنضال الذي يبذله العرب الآن في شتى مناحي الحياة لاسترجاع حقهم في فلسطين ، وغير فلسطين .

اما البكاء ، اما النحيب ، اما مشاهد اللاجئين واللاجئات، وقصص الأبطال والشهداء ، فهذا مما عفت عليه « الهزيمة » ، ودرسته الايام ، واصبح من الأطلال التي لا يصح الوقوف عليها !

لقد ألهمت فلسطين إبراهيم طوقان، وهو الذي عاش المأساة بدمه وروحه قبل ان يعيشها عربي غير فلسطيني بفكره وحسه ! وكانت قد ألهمت كثيراً من الشعراء الشعبيين الذين واكبوا ثورات ١٩٢٢ و ١٩٢٩ و ١٩٣٦ في العراق وسوريا ولبنان ومصر والمغرب العربي .

اما الدراسات فانها سبقت « معنى النكبة » الذي وضعه الدكتور زريق و « قضية فلسطين » الذي وضعة الدكتور نجيب صدقة . اذكر منها تقريراً بعث به الشهيد شكري العسلي قبل الحرب العالمية الاولى ، ووصف فيه مـا حدث قبل المارشال اللنبي ، وقبل وعد بلفور ، كما اذكر كتاباً للأستاذ محمد جميل بيهم يستغيث به تحت عنوان « فلسطين: الاندلس الجديدة » قبل سقوط حيفا بأعوام متطاولة ...

ان الذين عاشوا النكبـة من عرب فلسطين ألهمتهم كل ما وقع ، وكل ما قيل ، وكل ما يمكن ان يقال ، وكل ما لم يسمعه الحكام واساطين السياسة في الشرق والغرب !

نحن إذن امام مهمة جديدة ،لا عهد لنا بها من قبل ، وهي ايضاح العوامل التاريخية والاجتماعية والاخلاقية والسياسية التي ادت الى « انتصار الصهيونية » في اطار المدنية الغربية الراهنة ، وافضت الى تغليب الخلق اليهودي الشائن على الانسانية المعاصرة ، وخلقت هذا الجو من البلاء الذي يرسف فيه العالم بأسره ، جله وتفصيلا ، فمن المعلوم ان اليهود لم ينتصروا بوسائلهم الخاصة، ولا كان لهم ان يحلموا بتحقيق شيء ممـا حققوا لو ان المدنية الراهنة صحيحة الاسس ، عادلة الأنظمة ، نقية الضمير ! والعرب لم يغلبوا إلا لأنهم كانوا لا يملكون من امرهم شيئاً ، وانما الذي غلب في الحقيقة ، هم الأنكليز الذين تسلموا مقدرات فلسطين عهـد الأنتداب ، والأمـيركان الذين تأثروا بأحابيل السياسة الأوروبية وخدع الثروة اليهودية ، ورأس المـال الصهيوني ، والروس الذين كانوا قد انتهوا الى وضع داخلي لم يسمح لهم بالاسهام الصحيح في توجيه الشؤون الدولية ، فاستثمر الصهاينة مشاكلهم داخل روسيا ليربحوا تأييدهم من بعد .

لقد خسر العرب فلسطين منذ وطئت قدما المارشال اللنبي الارض المقدسة. وكان الحكم التركي قد اعد هذه الخسارة بما سلك من طرائق في الحيـاة الدولية ، والسياستين : الداخلية والخارجية . ومنذ ذلك الزمن والنكبة لم تزل تلهم الأدباء والشعراء والمفكرين .

هذا يعني ان واجبنا كعرب ، يقتضينا ان نغير قواعد المدنية الراهنـة من اساسها ، وان ننقذ الانسانية بمعونة الانسانيين كلهم ، من الصهيونيـة وانصارها ... وقد اوضح الدكتور قسطنطين زريق شيئاً من ذلك في كتابه « معنى النكبة » ولكنه لم يفصله ، وأشار اليه اشارة عابرة ، اظنها سنحت له كسانحة ولم يتدبر ما فيها من قوة وعمق ، ثم لم يبسطها بسطاً وافياً لما هي عليه من السعة والضخامة .

فاذا رجعنا الآن للمستقبل ، للمؤرخـين الذين سيضعون تاريخ القرن العشرين بعد مئة عام مثلا نجد انهم لن يغفلوا الوقائع الثابتة من مقاومـة الشريف حسين ، الى مقاومة وعد بلفور ، الى ذكر الثورات الفلسطينية ، الى الأسلوب الذي جرى به التقسيم . الى نكبة اللاجئين ، الى ...

سيتحدث التاريخ المقبل ، بلا ريب ، عن موقف السر ونستون تشرشل في ١١ ايار عام ١٩٥٣ ، وسيحاكمه مؤرخو الغهود الآتية محاكمة عسيرة ، قاسية ، شديدة لا رحمـة فيها ولا هوادة على الكلام الذي قاله ، والاسلوب الذي اتبعه في تشريد اهل فلسطين !

هذا هو موقف المستقبل من حاضرنا ... انه صريح : يحاكم الأعمال ، ولا يلتفت إلا للفكر النـير الصافي الذي يريد الخير للجميع ، ويعطي كل ذي حق حقه .

اما الأدب فسيكون تعبيراً عما جرى من اعمال ، وكان اثر النكبة واضحاً في كل الآثار الأدبية التي ذكرهـا لك الأستاذ عيسى الناعوري ، إبان سير المأساة ، وفي خاتمة فصولها .

المهم ان نواجه المستقبل بروح من يريد العمل ، والبناء ، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، لا بروح من انكر نفسه وتاريخه وجهاده ...

عبد اللطيف شراره

حول تاثير المأساة ايضاً ...

بقلم عيسى الناعوري

اخي رئيس التحرير

قرأت ردك علي في العدد الأخير من (الآداب) الغراء . وقد ادهشني فيه انك لا تعتبر الأنتـاج الأدبي ذا قيمة الا اذا كان لأحد الذين تدعوهم بـ (كبار ادبائنا) . وانت تعرف رأيي في هـؤلاء الذين تدعوهم انت بالكبار ، من مقالي المنشورين سابقاً في الآداب نفسها عن ديـوان سليمان العيسى ، ومجموعة (كفر) القصصية ، لنبيل خوري ، كما تعرفه اكثر ، من

المقال الذي ارسلته اليك اخيراً حول التوجيه الأدبي الصحيح ، ومن ردك على استفتائك الأول في « الآداب » حول تشجيع الناشئين ، اذ ذكرت لك في ردي ان القيمة عندي هي لمستوى الانتاج الأدبي نفسه، وليس للكاتب .

ولقد كان من الفضول اذن ان اعـــود الآن الى بيان هذه الحقيقة من جديد ، اجابة على تساؤلك : (اين هو هذا الأنتاج ؟ ... اين تأثير هذه الفاجعة في نتاج « كبار ادبائنا » ، هؤلاء الذين كنت اقصدهم في مقالي...) وليس المهم ان « تقصد » هـــؤلاء او تقصد غيرهم ، فالانتاج الأدبي الذي خلفته المأساة الفلسطينية ، او اوحت به روحها العامة ، اكثر بكثير من ان اورده لك في كلمة عابرة ، والناقـــد والمؤرخ لا يعييهما ان يجدا منه فوق حاجتهما . ولعل لدى الأستاذين محمد يوسف نجم ، وكامل السوافيري ، الخبر اليقين في هذا الموضوع ، لأنهما يشتغلان به من مدة غير قصيرة ، ولا ريب في انه قد تجمع لديهما من مادته اكثر بكثير من الذي تتصوره ، وربما من الذي كانا يتصورانه هما ايضا . ولكل منهما كتاب في هذا الموضوع ، وقد نشر الاستاذ السوافـــيري فصلين من كتابه في مجلة (القـــلم الجديد) في الأشهر الأخيرة .

واذن لسنا في حاجة الى ان نهتم بعدد الكتب والمواضيع في هذه العجالة، ولكن يهمني ان اقول لك انك اذا كنت تنتظر ممن تدعوهم بالادباء الكبار ان يساروا نهضة العصر ، فستتعب كثيراً قبل ان تصل الى نتيجة ، فأولئك قوم « ماتوا » مع الأسف الشديد ، وانت وانا ما نزال في أقاط الرضاع... والروح الجديـــدة ، والحياة الجديدة ، لا يعبر عنها الا اقلام جديدة تحس بواقعها وبتطور الحياة في زمنها . ولهذا يبقى لانتاج النكبة من القيمة والاهمية اكثر بكثير جداً – في عرف العصر والمجتمع الجديد – من هـــذا الذي يطلع به علينا « أدباؤك الكبار » الذين ماتوا من زمان ...

وكنت احسب في ما ذكرت في ردي من مؤلفات ، وإشارتي الى الكثير جداً مما نشر في الصحف او مما لا يزال دفيناً لدى اصحابه ، كنت احسب في ذلك الكفاية ، او بعض الكفـــاية ، لتأييد ما ذهبت اليه من ان النكبة قد اوحت بشيء كثير جداً ، اذ اوحت بانقلابات سياسية – لم تقف بعد عنـــد نهاية – وبانقلابات فكرية لا تزال تتوقـــد وتخرج دفائن جديدة كل يوم . ولكن هذا كله لم يستحق منك الا ان تتساءل قائلاً : « هل في هذه الآثار اثر رئيسي هام يصور النكبة الهائلة التي اصابت الأمة العربية بضياع فلسطين »؟

وانا اقول لك ان الآثار القليلة التي اوردتها في ردي ليست كافية وحدها ، فهي تصور مشاعر فردية او عامة ، بصورة محدودة ، ولكن مجموع الانتاج الذي ظهر ولا يزال يظهر ، وهو ثروة ادبية كبيرة جداً ، يستحق منـــك ومن كل اديب ان يقدر قيمته ، وان يعطيه حقه من الأهمية .

ولعلك لو رجعت الى الأدب الذي سبق الثورة الفرنسية ، لم تجده اكثر من هذا الذي اوحت به المأساة . وليس هذا بالتطرف العاطفي ، ولكنه لنتيجة الجو الادبي الذي اعيش فيه ، ليلي ونهاري ، اقرأه في كل صحيفة يحملها الي البريد ، وفي كل كتاب ، واسمعه من كل لسان ، وأراه في كل مكان اتجه اليه . فاذا كنت انت في بيروت لا تراه ، فأنت اذن تعيش في (مدينة فاضلة) ليست من العالم العربي ، ولا هي على مقربة منه ...

عمان **عيسى الناعوري**

حول « ولادة استقلال »

بقلم منير تقي الدين

اخي الاستاذ رمضان لاوند

ما كنت اجد سبيلاً للرد على كلمتك ولا سبباً للجدل ، لولا ان لمست اهتمامك بكتابي ، وقد صرفت في قراءته ثلاث جلسات طويلة ، محاولاً ان تكون لقراء مجلة « الآداب » الزاهرة رأياً فيه .

فوجدت الفرصة قد امكنتني لتوضيح بعض المسائل التي اشكلت عليك ، معلناً ان نقدك لكتابي ، وان كان يعـــد في نظر البعض ، هجوماً ، الا اني اعتقد ان رائدك فيه كان ازدياداً في المعرفة ، ورغبة في اظهـــار الحقيقة التاريخية فان رأيت ان تقابل كلمتي بما اتوسم فيك من اخلاص رأي ، وصفاء عقيدة ، كنت لفضلك شاكراً ، ولحكمتك مقدراً .

تأخذ علي فيما تأخذ اعراضي عن اصدار الحكم في كثير من المناسبات ، وكوني لم اتخذ صفة القاضي الذي « يصدر حكمه دون تردد او مجاملة » .

الى ان تغمز من جرأتي فتقول « انني آثرت السلامة في غالبية ما كتبت ، الامر الذي ادى الى غفلة القارىء » ...

لقد كنت ارجو يا سيدي ان تخصص جلسة رابعة ، ولو غير طويلة ، لمطالع خمس صفحات سطرتها في نهاية الكتاب (من صفحة ٢١٩ الى صفحة ٢٢٣) اوجزت فيهـــا رأيي الشخصي في العوامل التي ادت الى استقـــلال البلاد السياسي .

وما كنت لأدعي الطولة عندما تمددت الصراحة الفاقعة في تحاليـــلي لتلك العوامل ، غير اني ابتعدت كثيراً عن السلامة التي نسبتها ظلماً الي ... ويشهد الله ان بعض من اجتمعت عندهم فضائل الحكمة ، نصحوا لي ان آخذ جانب التحفظ في اظهار ما خفي، او تخفيف ما علم ، فكان جوابي اني اتخذت الصدق لي هدفاً ، والصراحة الصارخة رائداً .

الحق ان المؤرخ هو غير السياسي يسجل ولا يوجه. وقد حاول كثيرون من قبل ان يشذوا عن هذه القاعدة وارادوا الحكم على الاحداث والافراد فكان ان وقف العجز بهم عند مستهل الطريـــق ، وفجعهم التناقض في نهاية المطاف ... مما جعلني اسارع في اعلان تحفظي الصارم حين ذكرت في مقدمة الكتاب (صفحة ١٢) اني « لست بزاعم أني قلت الكلمة النهائية في الموضوع، فالموضوع بكر جديد ، والوثائق المتعلقة به ، لم تنشر جميعها ، وبمعنى آخر يجب ان يعاد النظر فيما قلته اذا ما ظهرت وثائق جديدة في المستقبل تناقض ما ذكرته . »

نحن يا اخي اعجز من ان نأخذ لنفسنا صفة القاضي ، فنحكم على الاحداث الجسام ، دون ان نقع في الهوى او التشيع ، ويجب ان نكون كمن رمى حجراً في ظلمة الليل لا يدري اين وقع الحجر ولا ماذا صنع ...

نحن نكتب للاجيال ونصور الواقـــع كما عرفناه وسوف نحاسب حساباً دقيقاً على كل كلمة ندونها ، ولا ندعي العصمة . ولرب حكم اطلقناه على فرد اليوم ، جاءت الايام تثبت عكسه ، وليس ما يجري حولنا اليوم من متناقضات بالبعيد عن ضرب المثال . او لم نطلق على سليمان نوفل اسم « كولونيل راشيا» ملصقين به كل فرية حتى اذا تغيرت الايام تقمص ذلك الكولونيل في شخص وزير يشترك في وزارة رياض الصلح الاستقلالية الثالثة ؟؟ فكيف يمكننـــا الاطمئنان الى حكم نصدره على هذا الرجل في كلا الحالين ؟؟

وهل لا تذكر « مطران الاستقلال » ومواقفه الرائعة في اثناء معركة لبنان عام ١٩٤٣ ، ثم انقلابه بعد اربع سنوات الى داعيـــة لوطن قومي

صندوق البريد

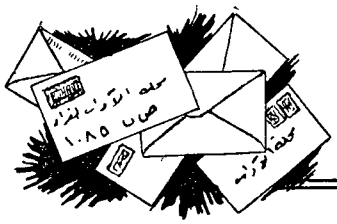

مشكلة الدكتور القط مع المجمع

كان للموقف الذي اتخذه مجمع فؤاد الاول من ديوان الشاعر النابغة الدكتور عبد القادر القط اثر سيء في نفوس الكثيرين ممن يقدرون العمل الادبي ويعرفون للأثر الفني مكانته وتأثيره في النفوس. والحق ان هذا المجمع قد كشف لنا بهذا الموقف الشاذ عن صورته الاصلية « بلا رتوش » ، هذه الصورة التي فحواها المجاملة وإطارها الصداقة في نقد العمل الادبي .. ولكن فيم هذا كله ؟ اريد ان اسأل : ماذا انتج لنا ذلك المجمع منذ تكوينه ؟ ماذا افدنا منه ؟ اي عمل من الخطورة بمكان قام به ؟

لقد قرأت للشاعر الدكتور القط ما كان له في نفسي أعمق الأثر . واود ان اتحدث الآن بايجاز عن ثلاث قصائد قرأتها له هي « حلم يقظة » المنشورة في آخر عدد من مجلة « الثقافة » المحتجبة ، والثانية « مثال » في العدد ٧٢٨ من « الثقافة » نفسها ، والثالثة « في طريق الحياة » المنشورة في العدد الماضي من « الآداب » .

فالاولى لا تعدو ان تكون صدى مجرداً لماضي الشاعر بما حواه من عواطف ومؤثرات وصدمات ، وبما تأثر به من مشاهد مختلفة او مؤتلفة من العالم الخارجي انتظمها إطار داخلي يحوي تجربة عاناها الشاعر في نهاره وليله ، في عمله وراحته ، في كل مرفق من مرافقه الحياتية . ولقد جرد هذه التجربة من وضعيتها وسلخها من عاديتها واصطفى المضمون الخاص المحض دون الغلاف العام ، اي انه ابعد كل ما هو مادي عنها ، وكل ما يشعر بالعمل ، وكل ما من شأنه التحديد الزمني او المكاني ، فجاءت تجربة فنية خالصة لئن كانت منتزعة من صميم العالم الخارجي ، فهي مصفاة في بوتقة الذهن. لقد شعرت بان هذه القصيدة انما هي لي ، وكأنما انا صاحبها . شعرت بان هذه التجربة هي تجربتي :

في مساء خافق الغيمات كاب
والدجى يلقي على الاكوان سترا
سرت غصّانَ بأهواء شباب
يبتغي من خيبة الآمال وترا

*

إيه يا ليل العناة الحائرين
انت يا ليل رهيب في سراك
تبسط الشك على وجه اليقين
ويراع الأمن من وقع خطاك
وقد كنت اودّ لو يتسع المجال لنقل بعض ابيات قصيدة « مثال » . اما « في طريق الحياة » فتسبيحة يشعّ الجمال من كل زاوية من زواياها . ونرى الشاعر في هذه القصائد جميعاً يؤيد ما يريد بلا تكلف وبلا بذل أدنى مشقة من ناحية الاسترجاع والاثبات ، ويعبّر عن تجاربه المعاشية باسلوب صاف نزيه سلس وبسكينة المتأكد مما يقول ، المخلص لما يعمل . فشعره هو اللون الذي يفتقر اليه أدبنا قديمه وحديثه ، انه سمو خالص وإبداع خالق منتزع من قلب الحياة ، ومنسلخ من كبد آمالنا وما نلاقيه في

طائفي ، ومبشر بصلح بشع مع عدو أزرق ؟

أم انك تطلب من المؤرخ الذي يحترم نفسه ، ان يضرب بعلم التنجيم ، ليصدر حكمه على قوم ، الغدر فيهم مستيقظ ، والصدق عندهم ماحل ، وقد كانوا لبضع سنين خلت مثالاً اعلى للعزة القومية ، وعنواناً لشعب يجاهد في سبيل كرامته ؟

وهل كان بمقدورنا ان نرتاح الى حكم نلزم نفسنا به ، على رجل وقف في وجه امة ، والقم الشعب حديداً ونارا ، شرد الزعماء ، وروع النساء والاطفال ، ثم لم تمر عشر سنوات حتى انقلبت داره الى كعبة يحج اليها اعداؤه بالامس ، ويفيء الى ظلال فروعها احزاب راسخة القدم في الوطنية ...

او ليس ذلك دليلا على وجوب التزام المؤرخ جانب الروية اذ ما يدريك ان تظهر وثائق مستقبلة تثبت ان من كان بمثابة الخيانة في رأينا هو عنوان البطولة الخالصة ، او ان من بهرتنا وطنيته ، كثير عليه لقب الخيانة !!...

اكتفي بهذا القدر من الامثلة راجياً ان اكون قد وفقت الى تبيان بعض الاسباب التي جعلتني أوثر السلامة ، تلك السلامة التي يفرضها علي الانصاف التاريخي العلمي ، والتي تجنبني الوقوع في مهاوي الخطأ .

ولقد لفت نظري الى تكرار اوردته في صفحة ١٩ ، لكلمة « المؤتمر السوري الممثل للأمة السورية » ، فلعلك لم تفطن ، سامحك الله الى ان هذا الكلام ليس لي ، بل هو للمستشرق « كارل بروكلمن » وقد اشرت الى ذلك في الهامش تحت رقم ٢٠ .

وإني لأرجو آخر الامر ، ان لا تلبسني ما البستني من اقليمية واهية ، وانت فاعل ان شاء الله والله من وراء القصد .

منير تقي الدين